خطبة صلاة الجمعة 13/ 9/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(زكاتي وصدقاتي لعمالي)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1]، قال ابن كثير: يهدي إلى الرشد أي يهدي إلى السداد والنجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10]، قال المفسرون: معنى قوله: هيئ لنا من أمرنا رشداً: يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق، والرَشَد والرُشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فإنه لا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئا**».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة الخامسة في سلسلة (**دليل إرشادي**)، تتناول كلُّ خطبةٍ منها مشكلةً اجتماعيةً أسريةً أو ماليةً أو أخلاقيةً وقع فيها عدد منا، وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتقدم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى تعينه على تبصر طرق الحل، وتمكنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزة تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة؛ لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذ الاختلاف بين البشر سنة والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **زكاتي وصدقاتي لعمالي.**

المسألة: أريد أن أعطي عمالي من زكاتي وصدقاتي، أزوج بعضهم وأساعد في شراء بيت لآخر وأدفع فواتير المشفى لثالث، ولكني أخاف أن يطمع بي الجميع ويطالبَني كلٌّ منهم بما أعطيت صديقه، فماذا أفعل؟ لا أريدهم أن يشعروا أنّ الأمر حق لهم فيلزموني به، ولا أريدهم أن يشعروا بالتفريق بينهم، وعلى الطرف المقابل أريد أن تكون زكاتي وصدقاتي لهم، فكيف أرتب أمري؟.

الدليل الإرشادي: في الدليل ثلاث فقرات: حكم دفع الزكاة للعمال، الزكاة للأكثر حاجة وللقريب أفضل، نظام النِّقاط.

أولا: حكم دفع الزكاة للعمال:

تعلمون أيها الإخوة أن مصارف الزكاة ثمانية ذكرتها الآية الستون من سورة التوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60].

فأول الأصناف: الفقراء، وهم الذين لا يجدون شيئاً من الكفاية، أو يجدون أقل من نصفها، كرجل محتاجٍ لمائة ألف ولا كسب له لعجزه أو له كسب يقل عن الخمسين.

وثانيها: المساكين، وهم الذين يجدون نصف كفايتهم أو أكثرَها، لكنهم لا يجدونها كلها.

وثالثها: العاملون عليها، وهم المعيَّنون من قبل ولي الأمر لجبي الزكاة وتوزيعها.

ورابعها: الغارمون، وهم المدينون لمصلحة عامة أو خاصة، فمن استدان من غير سفه ولا فساد، لمصلحة نفسه أو لمصلحة غيره، وليس عنده ما يفي دينه، يُعطى قَدْرَ سداد دَينه.

وخامسها: ابن السبيل، وهو المسافر المنقطع، الذي لا يجد ما يصل به إلى بلده من مال وزاد.

وسادسها: المجاهدون في سبيل الله.

وسابعها: المؤلفةُ قلوبهم، وهم الذين تعطى لهم الزكاة لكفِّ شرهم، أو لإدخالهم في الإسلام، أو لتقوية إيمانهم.

وثامن المصارف: في الرقاب، وهي الأموال التي تدفع لعتق العبيد يوم كان نظام الرق موجوداً.

هذه هي مصارف الزكاة الثمانية، ولا يجوز أن تخرج الزكاة عنها، فمن كان من العمال محققاً لوصف من هذه الأوصاف أو أكثر يعطى من مال الزكاة ومن لا فلا.

على أنه في الصدقة يُعطى هؤلاء ويعطى سواهم، فقد اتفق الفقهاء على أنّ الصدقة تحلّ للغنيّ؛ لأنّ صدقة التّطوّع كالهبة تصحّ للغنيّ والفقير، قال السّرخسيّ: (ثمّ التّصدّق على الغنيّ يكون قربةً يستحقّ بها الثّواب، فقد يكون غنيّاً يملك النّصاب، وله عيال كثيرة، والنّاس يتصدّقون على مثل هذا لنيل الثّواب).

لكن يستحبّ للغنيّ التّنزّه عنها.

ثانياً: الزكاة للأكثر حاجةً وللقريب أفضل:

فأحق الناس بالزكاة أشدهم لها حاجة، ومن اجتمعت فيه أكثر من صفة من صفات أهل الزكاة، وكذلك الأقربون أولى بالمعروف، ولفظ (الأقربون أولى بالمعروف) ليس بحديث نبوي ولكن معناه صحيح، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة رضي الله عنه لما أراد أن يتصدق بأرضه: «**أرى أن تجعلها في الأقربين**» [البخاري]، وفي القرآن الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: 215]، ولئن كانت الآية والحديث يتحدثان عن القرابة الرحمية وهي الأَوْلى بالصدقات، فإن العامل في المصنع أو المتجر له قرابة مكانية أو قل جواراً، وقد دعانا القرآن الكريم إلى الإحسان إلى مثله وسماه الجارَ الجُنُب، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ [النساء: 36] والجارِ ذي القربى: هو الذي له مع حقِّ الجوار حقُّ القرابة، والجارِ الجُنُب: هو البعيدُ عنك في النَّسب القريبُ منك في السكن أو العمل، والصاحب بالجنب: هو الرَّفيق في السَّفر.

فإذا كان العامل حاملاً لصفة من صفات مستحقي الزكاة أو أكثر، وكان معدوداً في الجار الجنب – كما سمعتم – فإن الزكاة عليه أفضلُ والصدقةَ إليه أكمل، إذا أدّينا حقوق الرحم.

ثالثا: نظام النقاط:

وضع بعض الصناعيين الأفاضل تِقْنِيَّةً في مصنعه لدفع الزكاة والصدقات، فهو يدفع بداية لأرحامه، وقد أوقف عليهم بعض مشاريعه التجارية فهو ينفق ريعها كاملاً عليهم، فليس أرحامه بحاجة إلى شيء من مال الزكاة.

ثم صمم نظام النقاط لتوزيع زكاته وصدقاته على عماله وموظفيه، بحيث قسَّم العمال في سجلاته إلى زمرتين؛ الأولى: من يجوز دفع الزكاة لهم لدخولهم في واحد من المصارف الثمانية، والثانية: من لا يجوز دفع الزكاة ولكن يجوز دفع الصدقات لهم.

تُعطى لكل عامل في إحدى الزمرتين مجموعةُ نِقاط بناءً على معايير معينة –سيأتي ذكرها– ثم تؤدى له الصدقات أو الزكاة متناسبةً مع عدد النِّقاط التي يُحَصِّلُها كلَّ عام.

فمثلاً:

- للعامل المتزوج نقطتان، وغير المتزوج صفر من النقاط.
- للعامل المعيل والديه نقطتان والمعيل أحدهِما نقطة، ولمن لا يعيل صفر.
- لكل ولد من أولاد العامل نقطة، فمن عنده خمسة أولاد خمس نقاط، ومن عنده أربعة فأربعة، وهكذا، ومن لا ولد له فصفر.
- للعامل الذي يسكن داراً يملكها صفر، ومن كان مستأجراً فله ثلاث نقاط.
- للعامل المريض مرضا مزمنا أو يعيل مريضاً بمرض مزمن له نقطه ومن في عافية فصفر.
- للعامل المهَجَّر من داره نقطة ومن لا فصفر.
- للعامل الذي يتقاضى راتباً شهرياً يزيد على المائة ألف نقطة، والذي يزيد عن خمس وسبعين نقطتين، والذي يزيد عن الخمسين ثلاث نقاط.

وهكذا تجمع في كل عام لكل عامل نِقاطُه، فربما أخذ الموظف الأول خمس عشرة نُقطة والثاني عشر نِقاط والثالث سبعاً، وهكذا.

ثم إن هذا الصناعي يقرر أن يصرف لكل نقطة عشرين ألف ليرة سورية مثلً، فمن أخذ عشر نقاط يُهدى مائتي ألف ليرة سورية في ذلك العام، ومن أخذ سبع نقاط يهدى مائةً وأربعين ألفاً، وهكذا....

وبعد هذا فالرجل يقدم لكل من يعقد من العمال عقد زواجه وكان قد أمضى عاماً فأكثر في العمل مليون ليرة، ويقدم نصف فاتورة المشفى للعامل الذي يضطر لدخول المشفى، أو يحتاج ذلك أحد أرحامه من الدرجة الأولى.

وقد جعل مديرَ المواد البشرية في منشأته الصناعية بالإضافة إلى اثنين من المحاسبين مسؤولين عن هذا الملف.

وإنه يراجع مدفوعاته في كل عام لزمرة مستحقي الزكاة، فإن تساوت مع ما وجب عليه من الزكاة حمد الله، وإن كانت المدفوعات أقل أتم دفع ما بقي عليه من الزكاة للجمعيات الخيرية الموثوقة، وإن بلغت المدفوعات أكثر جعلها من الصدقات.

إن نظام النقاط هذا يعين دافع الزكاة على إنصاف عماله، ويخلصه من الحرج منهم ويشعرهم بالعدالة ويزرع فيهم الولاء للعمل ومالكه.

ختاماً – أيها الإخوة:

نقول للأخِ صاحبِ المسألة وأمثالِه: عمالك الذين تنطبق عليهم واحدة من الصفات الثمانية لمصارف الزكاة أو أكثر هم أحق الناس بزكاتك بعد أرحامك، فمن لم تنطبق عليهم فاجعلهم محل صدقاتك، وإنك بإحسانك لعمالك تستجيب لقول الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ [النساء: 36] فهم يدخلون في الجار الجُنُب وهو البعيد عنك في النَّسب القريب منك في السكن أو العمل، فإنهم من جيران العمل.

ويمكنك اعتماد نظام النقاط الوارد تفصيله في الخطبة لتخرج من طمع الطامعين وإحراج المحرجين، والله أعلم.

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**».

والحمد لله رب العالمين